المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففضاءُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي سعةَ الادراج وعدمهُ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الفرينولوجيا

سيدي الفاضلين

والنارُ في احجارها مخبوءةٌ لا تلتظي ان لم تثرها الازندُ

الفرينولوجيا علمٌ حديث النشأة طالما الجمت ثارت عليهِ الفلاقل وهاجتهُ طوارئ الحدثان وقام عليهِ الناس قيام الساق على القدم حتى صار كلما أنتى سهماً تصيبهُ اسهام وكلما طلب مهرباً يوقف لهُ بالمرصاد ولات حين مناص . ولا بدع فقد اصابهُ ما اصاب سواهُ من العلوم بادئ بدء فمنهم من أثار عليهِ الانواء ونشرهُ في الفضاء هباء منثوراً ومنهم من اقام على ودادهِ وحفظ عهودهِ ولكل أمرهِ من دهرهِ شان

فهو العلم الذي تعرف بهِ قوى الانسان العقلية وامياله الادبية بل الشمس التي تبدد غيوم الاسرار عن سماء العلوم العقلية فلا يدعي انهُ يعرف طبيعة الانسان الداخلية ولكن يصف لنا ما عند الانسان من القوى العقلية فيقول هذا يميل للتعبد لان قوّة التعبد فيهِ عظيمة وذاك يميل للحب وذلك للخراب وما شاكل وهو علم صحيح يجري على سنن طبيعية كسواهُ من العلوم والطبيعة تساعدهُ في كل حال فعبثاً فسادهُ

كنت من مدة اسرّح الطرف في رياض مقتطفكم الزاهرة واجني الدرر من لذيذ اثارهِ فعثرت وجه ٥٢٥ من السنة العاشرة على مقالة في الفرينولوجيا ابتم بها حنيتها وعلى ما بناها اصحابها وما يزعمونهُ من الحقائق الوهمية والقضايا السفسطية واعذروني ان اقول انكم كنتم في الامر على جانب واحد فحيث كانت تسمح لكم الظروف كنتم ترشقونها وترشقونهم وحيثما رأيتم باباً للوم كنتم

في وجهها ووجوههم تنخونه. ثم ما أقل بدر جريدتكم شهرًا حتى عاد فرأيت به مقالة اخرى ارسلتم بها عليها (الفرينولوجيا) طيرًا ابابيل ترميها بحجارة من سجيل

فلبثت منتظرًا من يشد ازرها ويخفف وزرها من العلماء الاعلام ولكن لم أرَ من ردَّ فيها خطابًا او فتح بابًا فكأني بهم يصرخون اوثقوها وشدوا الوثاق وكأني بها تقول أهذا في القضاء حكم

ولما رأيت ان مَن باعهم أطوَل من باعي طلقوها ومن ذراعي يقصر عن شبرهم ادار وا الدائرة عليها لم اردان ابقى مصرًّا على تصديقها ولم ارد تطليقها قبل ان يجلى لديَّ فسادها ولذلك جئتكم بما عندي مما لم اقدر ان اطبقه على الذهن الفاتر والخاطر القاصر حتى اذا كنت تائهًا في سبل الضلال تهدوني الصراط المستقيم والله لا يضيع لكم اجرًا

قلتم اذا نزعنا العظم عن الدماغ لم نجد سطحهُ مستويًا بل وجدنا فيهِ ارتفاعات وانخفاضات كانثة الاسعاد التي التف الخ . من المعلوم " ان الدماغ مؤلف من جوهرين جوهر سنجابي اللون وهو الجزء الظاهر وجوهر ابيض وهو الجزء الباطن . وان الجوهر السنجابي هو الجزء المهم من الدماغ لانهُ مركز القوى العقلية العليا " فحيث كان هذا الجزء كبيرًا كانت قوى الانسان اعظم والعكس بالعكس فمتى كثرت تلافيفهُ يزيد و يتسع وحيث زاد واتسع كبرت الجمجمة لا محالة . فمحال اذًا ان تكون التلافيف كثيرة ولا يكون هذا الجزء كبيرًا والجمجمة متسعة بسببهِ واتساع الجمجمة اهمُّ شيء يعتمد عليهِ الفرينولوجي ولا شك ان هيئة الجمجمة واتساعها يتوقفان على هيئة الدماغ واتساعهِ والاَّ فاية قوة اذًا تجعل الجمجمة في هيئات مختلفة ونكاوين متباينة اذا صرفنا النظر عن هذه الامور

وقلتم " ان كل الذين شرحوا الدماغ ودرسوا وظائفهُ يعلمون " الخ . فالفرينولوجيون على ما اظن يسلمون كل التسليم في القسم الاول من هذه الاغراض فلا خلاف هنا الاَّ اذا كنت اسأتُ الفهم فيما يقولونهُ اما قولكم " ان الفرينولوجيين يزعمون ان كل بروز في عظم الراس يشير الى نمو الدماغ الواقع تحت ذلك البروز والى اشتداد القوى المتعلقة بهِ " فلا اظن ان احد الفرينولوجيين يسلم بهِ لانهم لا يلتفتون الى البروز فقط ليعرفوا نمو الدماغ الواقع تحتهُ بل ينظرون اليهِ والى هيئة الراس و يعتمدون على هيئتهِ كثيرًا و يعتبرونها كدليل الاخلاق فيلاحظون اذا كان الراس كبيرًا او صغيرًا ضيقًا ام متسعًا وهل الجزء الاعظم من الدماغ عند القاعدة ام مرتفع عنها وليس ذلك فقط بل يستخصون عن الاحوال والظروف والعوائد وما شاكل من الامور التي يعرفون ان لها دخلاً في علمهم و بعد التروّي التام يصدرون حكمهم وليس على النور حيث رأوا بروزًا او تومهوهُ . واما قولكم " بل ان كثيرين من الفرينولوجيين لم يروا

دماغًا قط فسامحوني اذا رجعت الى عبارتي السابقة انكم كنتم في الامر على جانب واحد اما قولكم ان زعم الفرينولوجيين يقتضي ان تزيد قوى الانسان بازدياد ثقل دماغهِ الخ فاعتراض لا اظن ايضًا ان الفرينولوجيين يعتدون به كثيرًا لانهم لا ينظرون الى ثقل الدماغ فقط بل ينظرون الى حجمهِ والى ماهيتهِ والى مركزهِ كما ذكرت آنفًا . فهم على ما اظن يعرفون حق المعرفة ان كثيرًا من الذين كانت ادمغتهم ثقيلة عاشوا خاملي الذكر وقضوا ولسان الحال ينشدهم

وكلُّ مَن لا خيرَ منهُ يرتجى ان عاشَ او ماتَ على حدٍّ سوى

وكثيرًا من الذين لم تكن ادمغتهم من الثقل في غاية عاشوا علماء فطاحل وماتوا ادباء افاضل فشيّدوا اركان المعارف وبذلوا انفسهم في حب البلاد وخير العباد فلو كان ثقل الدماغ الشيء الوحيد الذي يصيب المحز لما بقوا مشتبهين برأيهم ومصرّين عليهِ ولكنهم يعتبرون عدا عن الثقل ماهية الدماغ او نوعهُ فاذا كانت ماهية دماغٍ ما من درجة واطئة وكان ثقلهُ عظيمًا فلا يعتبرون الثقل جدًّا والعكس بالعكس . اما معرفة ماهية الدماغ في كل انسان فأمرٌ لا انكر انهُ من اصعب الامور انما يعرفون هذا من امور كثيرة كحركات الانسان وحالة انجيلهِ وما شاكل والفرينولوجي الحقيقي يقدر ان يميّز ماهية دماغ الانسان بكل سهولة حتى اتجاسر ان اقول انهُ يستطيع ذلك لاول نظرةٍ كما يحكم الحيواني الماهر على نوع الحيوان ورتبتهِ اذا وجد عظمة صغيرة من عظامهِ وعلى كل حال فللممارسة والاختبار حق عظيم في هذا الامر

وقلتم "ان تقسيم الدماغ الى ٣٥ او ٣٦ قسمًا لا يؤيدهُ شيء" الخ . لا اظن سادتي ان تشريح العضو يتبيّن بوظيفتهِ فتشريح القلب والكبد مثلاً لا يتبيّن بوظيفتهما وكذا تشريح باقي الاعضاء . ولا اظن ان تشريح الدماغ في اي وجهٍ من وجوههِ يمكن ان يناقض الفرينولوجيا . وهاكم ما قالهُ الدكتور نخر احد المشرّحين في المدرسة الواشنطونية في ماري لاند "ان الفرينولوجيا قد ساعدت جدًّا في تشريح الدماغ وهي من احسن الاكتشافات الاخيرة التي اكتشفت للمساعدة في تشريحهِ" وقال هورنر احد مشاهير المؤلفين في الطب في الوجه السادس والسبعين من كتابهِ في التشريح "ان علمها (اي سبرزهم وغُل) من احسن الطرق المساعدة لدرس تشريح الدماغ" وليس هذا فقط بل ان كثيرًا من العلماء واخصهم مشرّحو كرستندم جرّبوا لكي يظهروا ادنى مضادة بين التشريح والفرينولوجيا فخيبت مساعيهم وذهبت اتعابهم ادراج الرياح والخلاصة ان التشريح سند قوي وركن عظيم لهذا العلم فلا اظنهما يتعاندان في وجه من الوجوه

ثم قلتم ان الفرينولوجيين يحصرون قوى الانسان في سطح دماغهِ الخ وهذا الاعتراض يقارب الاعتراض الاوّل فان التلافيف الداخلية التي عند قاعدة الدماغ لا تباشر الجمجمة

حقيقةً انما (ولا شك في ذلك) توسعها وقد قلت سابقاً ان الفرينولوجيين يعتبرون وسع الجمجمة قبل كل شيء ولا حاجة للزيادة ثم قلتم "ان بروز الجمجمة في مكان لا يستلزم سمك الجزء الدماغي" قلت ولا ازال اقول ان الفرينولوجيين لا ينظرون فقط الى البروز بل الى اشياء أخر ذكرتها قبلاً والجزء الدماغي الداخلي يوسع الجمجمة وهذا ما يعتد به الفرينولوجيون كثيرًا

ثم قلتم " ان بعض الفرينولوجيين قد عينوا لبعض القوى مراكز ليست سوى عظام بارزة الخ. اني لا اشك في صحة ما قلتموه انما الناس على درجات فمنهم من لا يحكم حكمة الا بعد التروي التام ومنهم من يرمي الكلام جزافاً اصاب ام لم يصب ولهذا لا اظن ان احداً من شول الفرينولوجيين عين عضلات الفك في الهرة والنمرة كاعضاء للتخريب بل ذلك تعيين من يعرف من الفرينولوجيا اسمها وعلى كلّ

فما كل ازهار الرياض اريجةٌ ولا كل اطيار الفلا ترنمُ

اما من جهة الفراغ الذي في الجبهة فوق العينين بقليل فلا شك بوجوده وتحت سجافو حقيقة ادراك الذوات والوزن واللون انما هذا الفراغ لا يضع هذه الاعضاء تحت ظلمات الخفاء والمستقصي عنها يخبط خبط عشواء في ليلة تقلبت فيها الانواء ولا يهدم اركان الفرينولوجيا في حال من الاحوال فان الفرينولوجيين عرفوهُ وعرفوا ان تحته مركز بعض الاعضاء ولذلك درسوهُ وبحثوا عنهُ البحث المدقق حتى ان اصغرهم صار يدري مقدار هذا الفراغ في اي شخص كان فقد لاحظوا ان لا اثر لهُ في الذين هم تحت سن البلوغ وانهُ اصغر في النساء منهُ في الرجال لسبب مخافة بنيتهنّ. وهو بعظم في البالغين جدًّا وخصوصاً في اصحاب البنية القوية كالجبابرة والابطال وما شاكل ولذلك لا يخفى على الفرينولوجي عظم هذا الفراغ بنظرهِ الى البنية كما لا يخفى على الطبيب حالة المعدة بالنظر الى لسان المريض. قال الدكتور فولر الفرينولوجي الشهير " ان هذا الفراغ لا يوجد في الاشخاص الذين لهم اصوات حادة جلية تسمع بكل سهولة وتميز بكل صراحة (ولو وجد فصغير جدًّا) وانهُ كبير في الذين هم عكس ذلك وقد خصصت الوقا من الجماجم التي كنت احكم بها على عظم هذا الفراغ العظمي فكنت اراها مطابقة لما كنت اقولهُ " وعدا عن هذا كلهِ فان هذا الفراغ العظمي لا يغطي الاّ قليلاً من وظائف ادراك الذوات فهل نترك كل علم الفرينولوجيا لاجل هذا الشيء الذي لا يذكر في علم من اعظم العلوم وانفعها. فان كان ذلك كذلك يجب ان نطلق كثيرًا من العلوم التي يدخلها فضايا مبهمة كهذه مثل الطب والفلك وغيرها ولا اظن ان ذلك يباح لنا قبل ان تراق دماء الاقلام في ساحة الحجة والبرهان

ثم تركتم البحث العلمي وانتم الى البحث العملي وبا حبذا هذا السهل الذي لا تجد الفرينولوجيا مرتعًا بسواهُ تقبل ما يأتيها منهُ من السراء والضراء فان انتها السرّاء تقول لها "اهلاً وسهلاً ومرحبًا" وان انتها الضرّاء تقول "هذا جنتهُ يدي عليَّ وما جنتهُ على السوى" هذا اقوم قوام تتوكأ عليهِ الفرينولوجيا وهو الباب الوحيد الذي يُظهر صحتها اذا كانت صحيحة او فسادها اذا كانت فاسدة. قال الدكتور فولر "ان كل حقيقة من كلامي كنتُ اسندها على الوف من المرؤوس التي فحصتها". اما ما قلتموهُ هنا فصحيح وكل فرينولوجي يسلّم بهِ انما نعلمون ولا يخفى عليكم ان الدماغ مركّب من اعضاء عديدة ولكل عضو وظيفة قائمة بنفسها وهذه الاعضاء تتنازع في ميدان الحياة والغلبة للاقوى وهذا اظنهُ كافيًا ليُري كيف ان اعضاء التخريب في جماجم بعض العلماء كانت اكبر مما هي في غيرهم من مشاهير اللصوص فالعلماء الذين كان عضو التخريب فيهم عظيمًا كان على ما اظن (ان لم اؤكد) عضو الادراك والتعقل قويًا جدًّا متنازعًا في ميدان الحياة فقهر القوي الضعيف وتسلط عليهِ حتى صار يديرهُ حسب اهوائهِ كيف شاء وهكذا اللصوص الذين كان عضو التعقّل والادراك فيهم كبيرًا فان عضو التخريب كان اكبر واعظم فتنازعا فغلب الثاني الاول فجزر مدهُ وقلَّ حدهُ وادخلهُ في طاعتهِ والملك في يد الاقوى يؤتيهِ من يشاء. هذا ولو كان الفاحص فرينولوجيًّا ماهرًا او عالمًا مدققًا خالي الغرض لاختلفت النتيجة على ما اظن والله اعلم

وآخر ما ختتم بهِ المقالة قولكم "هذا اشهر الادلّة على فساد علم الفرينولوجيا ولكن الذي يري نفسهُ لرجل من علماء الفرينولوجيا يجد انهُ يصف لهُ قواهُ العقلية والادبية وصفًا قريبًا من الحقيقة حتى يخرج من لدنهِ مقتنعًا الخ" وبتتميم هذه المعرفة على علم الفيزيوغنومية ولنرَ في هذا

ان ما فعلهُ الدكتور فولر في هذا العلم ما يحير العقول ويذهل الخواطر فنفس هذه الاعتراضات كانت تصادفهُ وكثيرون من العلماء كانوا يجادلونهُ ويناقضونهُ بها فكان يدفع حجتهم بالحجج وبرهانهم بالبراهين. انما مَن يطلع على بعض اعمالهِ فليس لهُ سوى امرٍ من امرين اما ان يقول ان الدكتور فولر رجل هبطت عليهِ آيات السماء وبيّناتها وقد نُزّلت المعرفة عليهِ تنزيلاً فيخبر ما يخبرهُ بالوحي والالهام واما ان يصدق في علمهِ ويعتبرهُ من العلوم المقرّرة وعلى ظني ان التصديق بالثاني احرى فان الاول ذو شأوٍ بعيد وهاكم بعض ما قالهُ لمعترض عليهِ نفس هذا الاعتراض: قال "اجيبك على هذا انك اذا ذهبت لاي سجان كان في اوربا تقريبًا يقول لك بكل صراحة ان الدكتورين سبرزهم وغُل كانا يذهبان الى السجن ويفحصان المحبوسين ويخبران عن كل محبوس لاي سبب سُجن وان شئت فاني انا اذهب معك الى اي سجن اردت

واخبرك عن اي مجنون كان لاي ذنب سُجِن وكاد اقول لك اني لا اغلط في واحدٍ قط وان انكرت ذلك عليَّ فعند الامتحان يكرم المرء او يهان فهيا بنا وأْتِ معك بعصابة فاضعها على عيني وافحص امامك ايًّا شئتهُ كما قد فحصت امام غيرك اناسًا كثيرين ولم اغلط في واحدٍ منهم (وهنا يقدم شهادات عديدة من محلات عموميَّة تشهد له بذلك ولا اذكرها خوف الاطالة) فقد فحصت في هذه المدينة (بلتيمور) اناسًا كثيرين (ويذكر اسماء كثيرين منهم) وكنت اصيب في الجميع ولا ازال مستعدًّا لافحص أيًا كان تحت ايَّة شروط" واظن ان هذا الرد يكفي ليبرهن ان الفرينولوجي لا يعتمد على الفيزيوغنوميا ولتصوّر ذلك حقيقيًّا فهل بطابق الحال يا ترى. يستدل الفيزيوغنومي على طبائع الانسان من النظر الى وجهه وهيئته وحركاته فينبئك باخلاقه واطواره وجميع صفاته اذًا من اين له ان يخبر اذا كان في المرء قوَّة الادراك الذوات او حفظ الصور او معرفة الحجم وانَّى له ان يدري اذا كانت به قوَّة الوزن والتلوين ومعرفة الجهات والعدد والترتيب والتاريخ والتوقيت وما شاكل فان كان يدري بهذا كلهِ فما الفرينولوجيا الاَّ الفيزيوغنوميا وما الفرينولوجيون سوى الفيزيوغنوميين ومعاذ الله

وبالحقيقة ان ما يورده الدكتور فولر من عجائب الآيات وغرائب البينات مما يذهب بالعقل ذهابًا ويدل على جانب الشك نفاذًا وان سمحتم لي فاني اورد من الشواهد التي كان يصيب في كلٍّ منها ما لا يحصى. فكيف تسّر جميع هذه الحوادث اذا وضعنا علم الفرينولوجيا في حيّز الفساد انها لمشكلة لأُولي الالباب

هذا وقد تجاسرت سادتي على ما لا يؤمل تجاسري عليهِ وعرَّضت نفسي لما لا ادري معناهُ ولا افهم عقبى الجرأة عليهِ واسقطتُ نفسي لما يقال لي بهِ انك لا تدري ولا تدري بانك لا تدري وقد كان في نيّتي ونشهد التربية ان اضع كلامي كلهُ في باب المسائل مخافة ان يظن اني قدمتُ لتزالي بهِ اكون مناظرًا لكم معارضًا في كلامكم وبين الله اني لم اقصد سوى ازالة ما في فكري من البقين في هذا العلم ولم ادرِ على اية صورة اعرض افكاري بخصوص الشك في فسادهِ كيما تجلوهُ لدى عياني الى ان انت في الصورة التي ترونها مستغفرةً عن ذنبها لديكم وعلى كلٍّ فمعاذ الله ان انسى لكم فضلاً او اجحد جميلاً

بيروت سعيد عبد الله

شقير

﴿ المقتطف ﴾ تأخَّر ادراج هذه الرسالة الى الآن سهوًا وسنجيب عليها في الجزء التالي ان شاء الله

مستقبل زراعة القطن في الفيوم

ان القطر المصري وطن الزراعة لخصب ارضه والفيوم جزء منه والذي يزرع بها من الحبوب الفول والقمح والشعير والذرة والبرسيم والحلبة والسمسم ومن غيرها القطن والكتان . وارض الفيوم على الخصوص متوسطة الخصب فلا تصح فيها كل هذه الاصناف ومهما صحت زراعة اي صنف منها فانها لا تفي بما هو مضروب عليها من الاموال الاميرية لرخص اثمانها فضلاً عن عدم كسب الفلاّح منها ما عدا صنف القطن فانهُ متى التفت الزارع الى زراعته حسب قوانينه المعروفة من حرث وري وغيره وفي اموالهِ وربح منهُ صاحبهُ ربحًا وافرًا ولذلك زادت زراعتهُ عامًا فعامًا الى ان بلغت في السنة الماضية اربعين الف فدان فكان المحصول من هذا القدر مائة الف قنطار بفرض القنطار مائة رطل مصري . فلنستبشر الكلّ بالخير الدائم ومنذ اقبلت سنتنا هذه كان الأمل وطيدًا بان تتكاثر محاصيل هذا الصنف نظرًا لوفرة زراعته التي فاقت زراعة السنة التي قبلها بنحو خمسة وثلاثين الف فدان ولكن ان الامر على غير الامل اذ المنظور ان ينقص محصولها عما قبلها بنحو عشرة آلاف قنطار وهذا النقص من الافراط في تكثير كمية المزروع ومن التفريط في ريهِ . اما الآن وقد رأى سموّ خديوينا المعظم وصاحب الدولة والاقبال رياض باشا رئيس وزارتنا الجديدة ان يلقيا مقاليد هذه المديرية الى الحازم النشيط صاحب العزّة لطيف بك سليم الذي ثقفتهُ العلوم وحنكتهُ التجارب فلنستبشر الاهلون من هذا التعيين الحميد لما سينتج عنهُ من إحكام سبل الري للتوصل الى الغاية المقصودة التي هي انتشار زراعة القطن واصلاحها

الفيوم — ابرهيم رمزي

الجمعية الخيرية العلمية ببندر العطف والمحمودية

اقبل البعض من الافاضل والاعيان على انشاء جمعية خيرية علمية ببندر العطف والمحمودية لمساعدة الفقراء وانتشار المعارف والعلوم وقد عقدت جلستها الاولى في ليلة ١٢ اكتوبر الجاري وانتخبت لها حضرة الدكتور البارع عبد الرحمن افندي انسي رئيسًا وحضرة عبد الله افندي رشدي نائب رئيس وحضرة سكاروس افندي ابرهيم كاتبًا وحضرة الفاضل الشيخ عطيه محمد امين صندوق وقد شرعت هذه الجمعية في مقدمة اعمالها بانشاء مدرسة لتربية وتهذيب ابناء هذا البندر وضواحيهِ وعينت يوم ١٥ نوفمبر القابل لافتتاحها والامل وطيد ان تأتي هذه الجمعية بفوائد عميمة فنسأل لها النجاح والتوفيق ان شاء الله ١٠١

✻ المقتطف ✻ سرّنا غاية السرور بمبادرة فضلاء العطف الى انشاء هذه الجمعية المفيدة ونتمنّى ان تحقق آمالهم في ظل الحضرة الخديوية الفخيمة